أبودلف
مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبوعي
(رحالة من طراز خاص)

د. يوسف بن أحمد حواله

يزخر سجلنا الحضاري بإشارات عديدة لنماذج من الرجال اقترنت شهرتهم لا على أساس ما عرفوا به وطبعوا، بل وفقًا لاهتمام آخر برعوا فيه، فطيَّر لهم شهرة في ذلك، وغدوا لايذكرون إلاَّ به. (١) وأبودُلف الخزرجي الينبوعي واحد من هؤلاء، فالرجل وإن ولج دنيا الثقافة والمعرفة على أنه شخصية أدبية متفوقة - وإن لم تكن مشهورة -، والرجل وإن نظر إليه مؤرخو الأدب بوصفه مبرزًا في ميدان الأدب، فحققوا ترجمته في كتب الأدب. أقول على الرغم من ذلك، فالذكر الأشهر والصيت الأبعد إنما حفظ للرجل في ميدان الرحلة والجغرافيا، وفيهما حظي بنظرة تقدير عميقة لجهوده الواضحة هناك من قبل الجغرافيين المسلمين، وكذلك من قبل المستشرقين والباحثين الأجانب، الذين قدموه جميعهم لنا بعددراسة آثاره الجغرافية: جغرافيًا من الطراز الأول، كما يقول عبدالرحمن حميدة في كتابه: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم. (٢)

يقتضي المقام، قبل أن نتحدث عن الظروف التي جعلت منه: جغرافيًا رحالة، أن نعرِّف به، في إلمامة قصيرة، مدفوعين إليها دفعًا. ذلك أن كتب التراجم الأدبية - والجغرافية كذلك - لاتسعفنا بترجمة مستفيضة عن أبي دلف. كل الذي أمكننا أن نستقيه منها: أن اسمه: مسعر بن مهلهل أو المهلهل، وأنه عربي صريح النسب، إذ يعود في نسبه إلى قبيلة الخزرج الأنصارية. وسكنت أسرته بلدة ينبع النخل(٣)، ولذلك صار يعرف بالينبوعي أو الينبعي، ويكنى أبا دلف(٤).

بالقدر الذي ضنت علينا المصادر بذكر شيء ذي بال عن أسرته وحياته في بلدته ينبع النخل، فقد ضنت علينا كذلك بأية إشارة عن مولده، وأين كان؟ على أن المستشرقين الذين تتبعوا ترجمة حياة أبي دلف ذكروا - دونما تعضيد ذلك بأية إشارة تاريخية - أنه ولد في بلدته ينبع النخل. استغرب محمد عبدالمنعم خفاجي - وهو محق في ذلك -، الذي ألف عن أبي دلف كتابًا سماه: أبودلف الخزرجي - عبقري من ينبع(٥). أقول استغرب ما قالوه من شأن ولادته في ينبع النخل، ثم عودتهم إلى استبعاد ذلك، وعدَّ ذلك تناقضًا كبيرًا(٦).

أما وفاته فقد كانت فيما غلب على ظن بعض المراجع سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م أو بعدها بسنة وقد قارب بل صرم التسعين من عمره. ولسنا مع الذين رأوا في كلام الثعالبي صاحب كتاب يتمية الدهر في محاسن أهل العصر من أن أبادلف (قد خنق التسعين من عمره في الاطِّراب والاغتراب)(٧) دليلاً على أنه ولد سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م(٨) مادامت سنة وفاته غير محققة على وجه التعيين. بيد أن الشيء الذي لامراء فيه أن أبادلف من رجالات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأنه كان معاصرًا لدولتي: السامانيين(٩)، التي قامت في خراسام وما وراء النهر، والبويهيين(١٠) الذين قامت دولتهم في العراق وفارس. والشيء المحقق كذلك أنه قد اتصل ببعض أمراء ووزراء هاتين الدولتين، وحظي عندهم بمكانة عالية ودرجة رفيعة ولاسيما الوزيرين الشهيرين: ابن العميد(١١) ثم الصاحب بن عباد(١٢).

يبقى من أمر ترجمته الأدبية الاشارة إلى أنه اشتهر بصفة خاصة بالتفوق في الشعر، إذ هو مجاله الأرحب، وقد تفنن في أشعار المدح والطرائف حيث دار حولهما شعره، إضافة إلى اقتصاره على أغراض معينة: كالمدح والهجاء والفكاهة(١٣). بجانب هذا فقد كان قرنًا لمعاصريه من الشعراء أمثال: السلامي(١٤) والمتنبى والبستي(١٥) وغيرهم من أدباء كتاب يتيمة الثعالبي.

لقد تمخضت القراءة الفاحصة لآثار أبي دلف الخزرجي الينبوعي ومعاصره - بديع الزمان الهمذاني: مخترع فن المقامة في الأدب العربي، التي قام بها محمد عبدالمنعم خفاجي في كتابه سالف الذكر -، تمخضت الدراسة عن أن أبا دلف الخزرجي هو نفسه بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني المكنى بأبي الفتح الإسكندري. وهذا بالطبع موضوع آخر لاشأن لنا به.(١٦)

على أننا لايمكن أن نفارق ترجمته الأدبية دون أن نذكر ما اتفق عليه باحثو الأدب قديمًا وحديثًا - تقريبًا - من أن أبا دلف زعيم أو رائد الشعر الساساني الذي يدور محتواه على الاستجداء والكدية والاحتيال على أخذ المال بأي سبيل، وصوغ ذلك في قوالب شعرية فكاهية تتضمن كلمات غير قاموسية: أي استخدام كلمات واصطلاحات عامية من عامية العصر العباسي الثاني، تعرف باسم: مناكاة بني ساسان لايعرفها سوى أولئك السائلين والمشعوذين والمحتالين. وفي كتاب محمد عبدالمنعم خفاجي سالف الذكر إسهاب مفيد حول أصل تسمية هؤلاء بالساسانيين، وكذلك سرد لأسماء بعض شعراء الساسانيين من أهل الكدية والاستجداء وأماكن تجمعاتهم(١٧).

رحلة أبي دُلف الأولى :

الحقيقة إن لأبي دلف رحلتين، وليست ثلاث رحلات. وعندما نقول: رحلتين، فإننا بذلك لانذهب إلى ما ذهب إليه محمد عبدالمنعم خفاجي(١٨) من أمر وجود رحلة لأبي دلف إلى بلاد الهند غير رحلته إلى بلاد الصين، وغير رحلته

الأخرى إلى أواسط آسيا في إيران والقوقاز وأرمينيا وخراسان وآذربيجان فالقول بأن ثمة رحلة إلى الهند لايمكن قبوله إلاّ بكثير من التحفظ، وإلاّ فالمشهور أن لأبي دلف رحلتين كما ذكرنا قبل قليل، وهما ما تضمنته الرسالتان اللتان عثر عليهما في مدينة مشهد الإيرانية - كما سنشير إليه لاحقًا -، أما رحلة الهند فإنما هي جزء من رحلته إلى بلاد الصين أي الرحلة الأولى، وهو الأمر الذي عاد خفاجي إلى قوله في تعليقه على الرحلة الأولى.⁽¹⁹⁾ على أية حالة فإن رحلة أبي دلف الأولى يمكن عدُّها - في شيء من التجوّز - رحلة سياسية. وفي الحق فإن أبادلف لم يكن من أهل السياسة ولكن شاء له الله أن يحط رحله في مدينة بخارى عاصمة الدولة السامانية التي كانت تنتصب في بلاد خراسان وما وراء النهر. ثم لايلبث أن يسوقه حظه السعيد إلى بلاد أميرها: نصر بن أحمد الساماني الذي حكم بين سنوات ٣٠٠ - ٣٣١هـ/٩١٢ - ٩٤٢م. وهناك يسطع ويلمع سعده عندما يحيطه الأمير ووزيره أبوعبدالله محمد بن أحمد بن نصر المشهور بالجيهاني بعطفهما وبالغ ودهما. حتى إذا جاءت سفارة صينية من قبل ملك الصين تخطب ابنة أمير بخارى لأحد أمراء الصين فيأبى على الأمير دينه تلبية هذه الرغبة، فيضطر الوفد إلى أن يعرض أن يزوج الأمير أحد ولده من ابنة ملك الصين، فيوافق الأمير. أقول حتى إذا جاءت السفارة الصينية وحدث الاتفاق، لم يجد الأمير مانعًا من أن يكون أبو دلف واحدًا من أفراد الوفد الذي بعث لحمل الفتاة لزوجها، محققًا بذلك رغبة شاعره الشخصية في اغتنام قصد الصين⁽²⁰⁾.

هكذا نرى أبادلف يخرج برفقة الوفد الصيني - وبالطبع رُسل أمير بخارى - سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، أي في السنة نفسها التي انتهى فيها حكم الأمير نصر فيعبر بلاد التركستان والتبت، ثم يدلف نحو الصين، فيؤدي والوفد المهمة، ثم يعود أدراجه منها - أي الصين - نحو الهند، ثم أخيرًا إلى خراسان وما وراء النهر حيث الأمير الحاكم وابنه: نوح الذي كان يرقب مقدم فتاته، حيث بنى بها في مدينة بخارى⁽²¹⁾.

رحلة أبي دُلف الأخرى :

أما رحلته الأخرى ، فيبدو أنه قام بها دونما تكليف من أحد ، وإنما جاءت - وقد فتحت رحلة الصين شهيته- برغبة شخصية منه ، وقد ساح خلالها في أقاليم عديدة من أواسط آسيا في إيران والقوقاز وأرمينيا وخراسان وآذربيجان . ويرى محمد عبدالمنعم خفاجي(٢٢) - في شيء من الظن - على خلاف ماذهبنا إليه أن هذه الرحلة قد حدثت بتشجيع من الوزير البويهي: الصاحب بن عباد بين عامي: ٣٣١ - ٣٤١هـ/٩٤٢ - ٩٥٢م ومعتمده في ذلك إشارة ساقها الثعالبي في كتابه اليتيمة عن هذا الموضوع . بيد أننا لانذهب إلى ذلك ونرى بالمقابل وجاهة ما ذكره إغناطيوس كراتشوفسكي في كتابه: تاريخ الأدب الجغرافي العربي(٢٣) من أن دور الصاحب بن عباد قد انحصر في تشجيع رحالتنا بوضع رسالة عن رحلته هذه . أما مسألة التوقيت الزمني لهذه الرحلة فلا مشاحة في الاعتراض عليها كما حققها الباحثون الذين عرضوا لأمر رحلتي أبي دلف في دراستهم للرسالتين اللتين كتبهما بشأنهما .

أما وقد استقام لنا التعريف بالرجل ، ثم شرح ظروف رحلتيه ، فإننا مدعوون إلى أن ندع أبا دلف يحدثنا بأسلوبه عن رحلتيه أو بعض فصولهما ، حيث لايتسع المقام إلى أكثر من ذلك .

أبو دلف يروي طرفًا من رحلته الأولى :

(. . . **فخرجت** إلى الساحل أريد «كله»(٢٤) وهي أول الهند ، وآخر منتهى سير المراكب ، ولايتهيأ لك أن تتجاوزها وإلاّ غرقت . فلما وصلت إلى كله رأيتها وهي عظيمة عالية السور ، كثيرة البساتين ، غزيرة المياه ، ووجدت بها معدنًا للرصاص القلعي لايكون إلاّ في قلعتها في سائر الدنيا . وخرجت منها إلى بلد الفلفل ، فشاهدت نباته ، وهو شجر عادي لايزول الماء من تحته ، فإذا هبت الريح تساقط حمله ، وإنما يجتمع فوق الماء وعليه ضريبة للملك ، وهو لامالك له . وحمله أبدًا

لايزول شتاء ولاصيفًا، وهو عناقيد، فإذا حميت الشمس انطبق على العنقود من ورقه لئلا يحترق بالشمس، فإذا زالت الشمس زالت تلك الأوراق)(٢٥).

فصل من مشاهداته في رحلته الثانية :

(... **ووصلت** إلى قلعة ملك الديلم المعروفة: بـ «سميران»(٢٦)، فرأيت في أبنيتها وأعمالها فيها ما لم أشاهده في غيرها من مواطن الملوك. وذاك أن فيها ألفين وثمانمائة ونيفًا وخمسين دارًا كبارًا وصغارًا. وكان محمد بن مسافر صاحبها(٢٧) إذا نظر إلى سلعة حسنة أو عمل محكم، سأل من صانعة؟ فإذا أخبر بمكان موضعه أنفذ إليه من المال ما لايرغب مثله فيه وضمن له أضعاف ذلك إذا صار إليه. فإذا حصل عنده منع من أن يخرج من القلعة بقية عمره. وكان يأخذ أولاد رعيته ويسلمهم في الصناعات، وكان كثير الدخل قليل الخرج واسع المال ذا كنوز عظيمة. فما زال على ذلك إلى أن أضمر أولاده مخالفته رحمة منهم لمن عندهم من الناس الذين هم في زي الأساري. فخرج يومًا لبعض مُتَصَيِّدَاته، فلما عاد غلقوا باب القلعة، وامتنعوا عليه، فاعتصم منهم بقلعة أخرى من بعض أعماله. وأطلقوا من كان عنده من الصناع، وكانوا خمسة آلاف إنسان، فكثر الدعاء لهم بذلك)(٢٨).

(**ثم أني** رجعت إلى آذربيجان في الجبل إلى موقان(٢٩)، وكان مسيري ثمانين فرسخًا تحت الشجر على ساحل بحر طبرستان(٣٠) العظيم، حتي أتيت موضعًا يقال له: باكويه(٣١) من أعمال شروان، فألفيت به عينًا للنفط تبلغ: قبالتها(٣٢) كل يوم ألف درهم، وإلى جانبها عينًا أخرى تسيل نفطًا أبيض كدهن الزئبق لاينقطع ليلاً ولا نهارًا، ويبلغ ضمانه مثل ذلك)(٣٣).

أبو دلف في أرمينية :

(... **وبأرمينية** معدن للملح الأندراني، وبها معدن مغنيسيا، ومعدن نحاس ومنه يكون التوتيا(٣٤) الحمودي والضفاضعي. وفيه شيء من الزاج(٣٥) الأسود، وبها نبات الخزامى(٣٦)، والشيح(٣٧) الذي يخرج الحيات من الجوف، إلا أن

التركي خير منه وأقوى. وبها حشائش كثيرة نافعة، وبها السنبل(٣٨) الرومي. وبأرمينية عيون يخرج منها ماء حامض مفتح(٣٩)، وبها زرنيخ أصفر(٤٠) كثير في معدن واحد مما يلي المشرق، وبها زاجات وكباريت قليلة، ولا معدن فضة ولاذهب بها. وأرمينية رخيصة الأسعار، وربما كان القحط بها عظيمًا جدًا، وهي كثيرة الآفات، وبها حجارة كثيرة ذوات خواص مذكورات. وتقوم بها عدة أسواق في السنة(٤١) تباع فيها أشياء كثيرة من الفرش والديباج والبغال، وغير ذلك. وأرمينية قليلة الآثار)(٤٢).

لايترك أبو دلف أرمينية دون أن يروى لنا طرفًا من عادات أهلها وذلك إذ يقول(٤٣): (وبالقرب من مدينة أرمينيا مدينة أفلوغونيا(٤٤)، وفي أهل ذا البلد خدمة للضيف وقرى واسع، وحسن طاعة لرهبانهم، حتي أن الواحد منهم إذا حضرته الوفاة أحضر القس ودفع إليه مالاً واعترف له بذنب ما عمله، والقس يستغفر له، وقد تضمن له - عياذًا بالله - الصفح والعفو عن سائر ذنوبه. ويقال إن القس يبسط كساءه، فكلما ذكر ذنبًا بسط القس يده، ثم قبضها، وقال: قد أخذته ثم يطرحه في كسائه. فإذا لم يبق له ذنب جمع القس كساءه وحمله وخرج وقال: قد حملت ذنوبك، وأنا ألقيها في الصحراء، ويقرر في نفسه الغفران والتجاوز وليس هذه السنة في شيء من الأديان كلها إلاَّ في هؤلاء، وهم ضرب من الأرمن)(٤٥).

أبو دلف في مدينة الريّ :

(... وقد خرج من الري(٤٦) عدَّة من العلماء والكتاب والشعراء. ومياه الري عذبة وبئة، وبها ماء يقال له: السورين، رأيت أهلها ينكرونه «يتطيَّرون منه» ولايقربونه ولهم الثياب الرازية التي لاتعمل في سائر الدنيا إلاَّ في بلدهم. ولقد رأيت ثوبًا منه تكسيره(٤٧) نحو مائتي شبر، قد بيع بعشرة آلاف درهم. ولأهلها الخبث والغباوة والذكاء(٤٨)، وبالري جبال تدعى: قصران، وهي جبال شامخة عالية، وإذا امتنع أهلها على السلطان لحمل الخراج، لم يقدر عليهم، وإنما لهم عند صاحب الري رهائن. وأكثر فاكهة الري من هذه الجبال. ويقيم الورد بالري أربعة أشهر، وبها حيَّاتُ صغار تنفع من الجرب)(٤٩).

• أخيراً : أبو دلف في مدينة : رام هرمز •

أخيراً، فثمة وصف لانقول إنه الأخير لمدينة تدعى: رام هرمز: (مدينة رام هرمز(٥٠) مدينة جليلة وفيها أبنية عادية(٥١) عجيبة، والمعادن في أعماقها كثيرة وقلما رأيت ملحاً أحكم في الصنعة من ملحها، وبها هوام قتالة لايَبِلُّ سليمُها.(٥٢) وبها عيون الكبريت الأصفر البحري(٥٣)، لايوجد هذا الكبريت في غيرها. وفي أهلها سماحة ليست لغيرهم من أهل الأهواز)(٥٤).

• رحلتا أبي دُلف وموقعهما من البحث العلمي •

آن لنا بعد هذه الرحلة الطويلة بعض الشيء مع أبي دُلف أن نعرض لموقع رحلتيه من البحث العلمي، ثم أهميتهما التاريخية والعلمية. في البدء نستطيع القول بصدد الرحلة الأولى إلى بلاد الصين، إن أبا دلف قد وضع أخبارها على هيئة رسالة بعث بها إلى السامانيين الذين هيأوا له قصدَ الصين، وقد جاءت استجابة لمطلب مضيفيه من السامانيين أولاً، ثم البويهيين، وتحديداً وزيرهم الصاحب بن عباد ثانياً. دليل ذلك ما جاء في مقدمة رسالته الأولى التي يخاطب فيها ربما الملك الساماني: نوح بن نصر - لأن أباه قد مات في السنة نفسها ٣٣١هـ/٩٤٢م، حيث تمَّت رحلة الصين، غير أن تدوين أخبارها تمَّ بعد فترة - ثم الصاحب بن عباد. قال أبودلف: (إني لما رأيتكما ياسيدي، أطال الله بقاءكما لهجين بالتصنيف، مولعين بالتأليف أحببت أن لا أخلي دستوركما، وقانون حكمتكما من فائدة وقعت إليَّ مشاهداتها وأعجوبة رمت بي الأيام إليها ليروق معني ما تتعلمانه السمع، ويصبو إلى استيفاء قراءته القلب... فرأيت معاونتكما لما وشج بيننا من الإخاء، وتوكَّد من المودة والصفاء)(٥٥).

وفي الرسالة الثانية، أي التي ضمَّت أخبار الرحلة الثانية نراه يؤكد على المعنى نفسه، ويوجهها - أي الرسالة - إلى ذات الشخصين، فيقول: (جردت لكما يا من أنا عبدكما(٥٦) أدام الله لكما العز والتأييد والقدرة والتمكين جملة من سفري كان

من بخارى إلى الصين على خط الوتر ورجوعي منها على الهند، وهو سَمْتُ(٥٧) قوسِه، وذكرت بعض أعاجيب ما دخلته من بلدانها، وسلكته من قبائلها، ولم أستقص المقالة حذرًا من الإطالة، ورأيت الآن تجريد رسالة شافية تجمع عامة ماشاهدته وتحيط بأكثر ما عاينته لينتفع به المعتبرون ويتدرب به أولو العزة والطمأنينة ويثقف به رأي من عجز عن سياحة الأرض... إلخ)(٥٨).

لئن كان خفاجي(٥٩) يرى أن المقصودين بالرسالة: أحد ملوك السامانيين ثم الصاحب بن عباد، فإنه يتراءى لنا أن الملك الساماني هو: نصر بن نوح الذي تولى الحكم من سنة ٣٣١ - ٣٤٣هـ/٩٤٢ - ٩٥٤م، وذلك من وجهين: أولهما أن أبا دلف تربطه بهذا الملك الفتى ماسةٌ قوية، فهو أحد الذين حملوا إليه زوجه. الأمر الآخر هو أن الرحلة الثانية وكما يذهب خفاجي نفسه(٦٠) قد تمَّت بين سنوات ٣٣١ - ٣٤١هـ/٩٤٢ - ٩٥٢م، ولاننسى أن الملك الساماني السابق كان قد توفي سنة ٣٣١هـ/٩٤٢م، وأن الرسالتين وكما يقول خفاجي كذلك قد كتبتا بعد عهد طويل من قيامه بالرحلة الأولى(٦١).

ومهما يكن من أمر فقد كتب أبودلف رسالته الأولى والتي عثر عليها مع الرسالة الأخرى ثم ضمنهما كتابًا سماه: عجائب البلدان، إلاً أن الكتاب لم يشتهر عند المستشرقين إلاً برسالتي أبي دُلف الأولى والثانية، واللتين طبعتا في كتاب مترجم إلى العربية كما سنشير لاحقًا وكذلك في قائمتي الفهارس والمراجع.

أما موقع الرحلة الأولى من البحث العلمي والحقيقة التاريخية، فقد ذكر متتبعوها من المستشرقين أقوالاً متباينة بحقها، واضطربت بشأنها أقوالهم بين مشكِّك بها ومؤيدٍ لها. ويذكر كراتشوفسكي في كتابه سالف الذكر تلك الأقوال التي ذكرها المعارضون بعد أن درسوا خط سير أبي دلف إلى بلاد الصين وتصريحهم بأنهم رأوا فيه خلطًا وتعقيدًا شديدين، مما يحمل على القول بأنها من نسج الخيال(٦٢).

بيد أن كراتشوفسكي لايلبث أن يدلي بآراء لمستشرقين آخرين، تقوّي من أمر الرحلة، بل وتؤكدها. وإثر هذا يلخص كراتشوفسكي بعد عرض الحجج المؤيِّدة، مقارنة بالآراء السابقة، يخلص إلى أن الرحلة حقيقة واقعة وأن قوة وحجج مؤيِّديها أقوى من حجج المعارضين، وبالتالي يرى أن لامحل لاعتبارها من نسج الخيال(٦٣).

في الحق فإن الجغرافيين والباحثين المسلمين، ولاسيما أولئك الذين نقلوا نصوصًا عن رحلتي أبي دُلف في كتبهم كانوا ينظرون بتقدير وثقة لما ذكره أبو دلف عن رحلتيه. فهذا النديم(٦٤) يقول عنه بأنه جوالة، جاب البلاد وشاهد عجائبها، وأنه كان سيَّاحًا زار البلاد، وأخبر بعجائبها. أما القزويني(٦٥) فإنه لايكاد يختلف رأيه عن النديم بل وصفه بذات وصف النديم، فقال: إنه كان سيَّاحة. وإذا ما عرضنا لرأي ياقوت في رحلات أبي دُلف، ومعلوماته، فلا نجد في الحق إلاّ تسليمًا برواية أبي دلف، فنراه ينقل عنه تصريحًا في ٣٤ اقتباسًا، وفي ٢٤ موضعًا دون ذكره اسمه صراحة كما يقول بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف(٦٦). على أن ياقوتًا والحق يقال كان يشكِّك أحيانًا في رواية أبي دُلف، ومن ذلك تشكيكه في مسألة بقاء الجثث في أصبهان آلاف السنين دون أن تبلى، وهو أمر ذكره أبودلف في معرض حديثه عن مدينة أصبهان مما لاينسجم مع الواقع العلمي. ولننظر إلى ياقوت(٦٧) يقول معلقًا على تلك الرواية بعد انتهاء سرده لها: (قلت أنا: وسألت جماعة من عقلاء - وهذا استخدام مهم - أهل أصبهان عما يحكي من بقاء جثة الميت بها في مدفنها؟، فذكروا لي أن ذلك بموضع منها مخصوص، وهو في مدفن المصلى لا في جميع أرضها). ويبدو أن ياقوتًا قد تظاهر بالقبول كما يخيل إلينا، وإلاّ فالحق يقال إن للرجل آراء نقدية غاية في الأهمية وردت تعليقًا على النقولات التي كان ينقلها عن الآخرين في موسوعته. وعلي كل حال فياقوت، وهو الذي كان اقتبس كثيرًا من أبي دُلف، كان لايسلم تمامًا بروايته دائمًا(٦٨)، وقد أشار بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف(٦٩) إلى أن بعض عدم ثقة المستشرقين بأبي دلف يعود إلى نقد بعض العلماء العرب من أمثال النديم وياقوت.

من الباحثين المحدثين ينبري زكي محمد حسن صاحب كتاب: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى(٧٠) إلى تأييد الرأي القائل بحقيقة الرحلة، بل ويشير إلى أن المقتطفات اليسيرة التي وردت عن الرحلة الأولى في بعض المصادر العربية تدل دلالة واضحة على دقة ملاحظة أبي دَلف. ويرى أنه يكفي مثلاً على ذلك ما فطن إليه أبو دَلف من أن الخزف الصيني كان يقلد في بعض البلاد الأخرى مثل إيران، وبلاد الملبار، والهند.

• الرحلة الأخرى والرأي العلمي حولها •

يرى نفر من الباحثين، نذكر منهم: كراتشوفسكي ومينورسكي وڤنسنفلد ورسكا أن الأقوال التي أوردها الباحثون القدامي والمحدثون على أن الرحلة حقيقية، وأنها ذات أهمية كبيرة في الجغرافية الإسلامية.(٧١) تشكل هذه الرحلة التي تضمنتها الرسالة الثانية لأبي دُلف مع الرسالة الأولى عن رحلة بلاد الصين مادة المخطوط الذي اكتشف سنة ١٩٢٤م/١٣٤٣هـ، في مدينة مشهد الإيرانية. يقول محمد عبدالمنعم خفاجي(٧٢) بأن هذه الرسالة: (تتميز بتركيز شديد ودقة متناهية، وموضوعية غريبة، كما تتميز بمادتها العلمية القيمة التي تضعها في عِداد المصادر الأولى للتاريخ العام والجغرافي لآسيا الوسطى).

قبل خفاجي، كان كراتشوفسكي(٧٣)، ومحققا الرسالة الثانية: بطرس بولغاكوف، وأنس خالدوف(٧٤): السوفيتيان قد أثنوا جميعهم على رحلة أبي دُلف هذه، وما تشكّله من أهمية ولاسيما في حديثه عن النفط في مدينة باكو. كما أن كراتشوفسكي(٧٥) أثنى كثيراً عند موافقته للخبير الروسي: روسكا على اهتمام أبي دُلف بالظواهر الطبيعية، وحديثه عن النباتات والمعادن وخواصها هذا علاوة على المعلومات التاريخية والجغرافية الوصفية الأخرى.

يمكن القول إن رحلة أبي دُلف هذه تصنف في عداد الرحلات الجغرافية التي تعنى بالجغرافيا الحيوية والاقتصادية. إن طغيان جغرافيا التعدين والصناعة على

مادة هذه الرحلة يعد أمرًا مثيرًا، فلا يمكن لنا أن نقول إن ذلك يدل دلالة واضحة على أنه كيميائي هاوٍ، بل يسمح لنا أن نعده كيميائيًا صيدلانيًا محترفًا. دليل ذلك ما جاء في رسالته بل في مقدمتها ممًا قاله حرفيًا(٧٦): (ولما شارفت الصنعة الشريفة والتجارة المربحة من التصعيدات(٧٧) والتقطيرات(٧٨) والحلول والتكليسات(٧٩) خامر قلبي شك في الحجارة، واشتبهت على العقاقير، فأوجب الرأي اتباع الركازات(٨٠) والمنابع(٨١)، فوصلت بالخبر والصفة إلى الشيز(٨٢)، وهي مدينة بين المراغة(٨٣) وزنجان(٨٤) وشهرزور والدينور(٨٥) بين جبال تجمع معادن الذهب، ومعادن الزيبق ومعادن الاسرب(٨٦)، ومعادن الفضة ومعادن الزرنيخ الأصفر، ومعادن للحجارة المعروفة بالجمست)(٨٧).

إذًا فنحن أمام هذا النص وغيره مما أوردناه سابقًا نواجه عالمًا بعلم الصنعة (الكيمياء) وصيدلانيًا محترفًا، ولكن هل هذا هو كل شيء؟ البتة، فالرجل عالم بطبقات الأرض وصخورها (جيولوجي)، مما يرفع من منزلته بين العلماء كما قال عبدالرحمن حميدة في كتابه الذي أشرنا إليه آنفا. انظر إليه يقول عن تجاربه الميدانية في مدينة الشيز: (وهذه المدينة يحيط سورها ببحير في وسطها لايدرك له قرار، وإني أرسيت فيه أربعة عشر ألف ذراع وكسور من ألف، فلم تستقر المُثقَّلة(٨٨) ولا اطمأنت، واستدارته نحو جريب(٨٩) بالهاشمي، ومتى بُلَّ ماؤه بتراب صار لوقته حجرًا صلدا. .)(٩٠).

مابقي من أمر الرحلتين:

أما ما بقي من أمر الرحلتين، والذي قصدنا تأخيره، فهو الإشارة إلى موضع طبع الرسالتين اللتين تشكلان مادة الكتاب الذي عرف فيما مضي باسم كتاب: عجائب البلدان، وقد سجله كارل بروكلمان بهذا الاسم في كتابه: تاريخ الأدب العربي. (٩١) بيد أنه منذ العثور على مخطوطة مدينة مشهد سنة ١٩٢٤م/١٣٤٣هـ، لم تعد هذه التسمية مستعملة في الإشارة إلى رحلتي أبي دلف،

استعيض عنها بالرسالتين المطبوعتين – كلا على حدة – واللتين طبعتا على حين فترة من الوقت بين الأولى والثانية.

ولقد ظهرت الرسالة الأولى التي تحتوي أخبار رحلة الصين والهند مطبوعة باللغة الألمانية بعد أن تمّت ترجمتها. وقد جرى ذلك على يد المستشرق الألماني: روزاوير (Rohr-Sauer) سنة ١٩٣٩م/١٣٥٨هـ، الذي عكف على تحقيقها ودراستها وتحليلها. أما الرسالة الأخرى فقد ظهرت لها طبعتان: الأولى سنة ١٩٥٠م/١٣٧٠هـ باللغة العربية في القاهرة على يد المستشرق: مينورسكي مع دراسة باللغة الإنجليزية وكذلك ترجمة للرسالة، والطبعة الأخرى ظهرت بتحقيق ونشر العالمين السوفيتيين: بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف في مدينة موسكو سنة ١٩٦٠م/١٣٨٠هـ وقد ترجمت إلى اللغة العربية أخيرًا بعناية منير مرسي سنة ١٩٧٠م/١٣٩٠هـ(٩٢).

• مضامين جغرافية طيَّ قطوف أدبية •

للهِ أبوه هذا الرجل! إن شغفه بالجغرافيا والرحلة والترحال جعله لاينسى أن يتحدث في قصيدته اسي خصّصها عن الساسانيين، والمعروفة بالقصيدة الساسانية.(٩٣) أقول لاينسى أن يضمنّها مضامين جغرافية، ويتحدث عنها حديث المستهام بها. يقول أبو دُلف في هذه القصيدة:(٩٤)

فنحن الناس كل النا   س في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق   من الصين إلى مصر
إلى طنجة بل في كل   أرض خيلنا تسري
لنا الدنيا بما فيها   من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج   ونشتو بلد التمر

وكذلك: **تَغَرْبنا إلى أنَا   تناءينا إلى شهر**
فظل البَيْنُ يرمينا   نوىً بطنًا إلى ظهر
وأيضًا: **ألا إني حلبْتُ الدهر   من شطر إلى شطر**
وجُبْتُ الأرض حتى صرْ   ت في التطواف كالخِضْر
وما عيش الفتى إلاً   كحال المدِّ والجزْر

هذه الأبيات بمضامينها الجغرافية، ألا تذكرنا بالجغرافيين والرحالة، وبانطباعاتهم ووصف حالة تغربُهم؟ ألا يذكِّر قوله هذا بأقوال معاصره الجغرافي المؤرخ المسعودي(٩٥)، الذي اعتذر في مقدمة كتابه للقراء عن أي تقصير أو إغفال لشيء قد عرض: (لما شاب خواطرنا وغمر قلوبنا من تقاذف الأسفار، وقطع القفار على متن البحر، وتارة على ظهر البر، مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة و . . . . وتقحمنا الشرق والغرب، فتارة بأقصى خراسان، وتارة بوسائط أرمينيا، و . . . و . . . . ، فسيري في الآفاق سرى الشمس في الإشراق؟) ألا نحس بأن ثمة التقاء بين أبيات، أو لنقل بعض الأبيات السابقة لأبي دُلف مع ما تمثَّل به المسعودي :

تَيَمَّمَ أقطار البلاد فتارة   لدى شرقها الأقصى وطورا إلى الغرب
فغَرَّبْتُ حتى لم أجد ذكر مَشْرِق   وشَرَّقْتُ حتى قد نسيت المغاربا؟

الحق نقول: بلى، فالرجل جغرافي رحالة من الطراز الأول، على أن النظم الشعري المليئ بالمضامين الشعرية كما أوردناه سابقًا لم يكن وحده في الميدان، إذ ثمة نص منشور جاد به علينا الثعالبي أيضًا في كتابه: لطائف المعارف. هذا النص لأبي دُلف بمقدار مافيه من أدب رفيع وخفة ظل وروح مشبعة بالدعابة والظرف وما احتوت عليه من ترويح في موضوعها، وحيوية متدفقة في الأسلوب والعرض، وهي بذلك قطعة أدبية خالصة ماتعة. أقول بمقدار ما قربها ذلك من

الأدب، فقد قربها بمقدارٍ مماثلٍ من الجغرافيا الوصفية، تلك التي تعرض إلى خصائص الأقاليم وطبائعها.

روى الثعالبي في كتابه: لطائف المعارف(٩٦) هذه المحاورة والمداعبة الظريفة التي جرت في مجلس عضد الدولة البويهي(٩٧) بين أبي علي الهائم(٩٨) وأبي دُلف.

بدأت المحاورة من قِبَلِ أبي علي الهائم، الذي وجه سهام ظرفه إلى أبي دلف قائلاً: صبَّ الله عليك طواعين الشام، وحمَّى خيبر(٩٩)، وطحال البحرين(١٠٠) ودماميل الجزيرة(١٠١)، وسناقر(١٠٢) دهستان(١٠٣)، وضربك بالعرق المدنى(١٠٤)، والنار الفارسية، والقروح البلخية(١٠٥).

فقال له أبو دلف: يا مسكين أتقرأ تَبَّتْ على أبي لهب، وتنقل التمر إلى هجر(١٠٦)، بل صبَّ الله عليك ثعابين مصر، وأفاعي سجستان(١٠٧)، وعقارب شهرزور(١٠٨)، وجرارات(١٠٩) الأهواز(١١٠)، وصبَّ عليَّ برود(١١١) اليمن، وقصب مصر، ودبابيج(١١٢) الروم، وخزوز(١١٣) السوس(١١٤) وحرير الصين، وأكسية فارس، وحلل أصبهان، وعمائم الأبُلَّة(١١٥). وسقلاطون(١١٦) بغداد، وسنجاب(١١٧) خرخير(١١٨)، وسمور(١١٩) بلغار(١٢٠)، وثعالب الخزر، وفنَك(١٢١) كاشغر(١٢٢)، وفاقم(١٢٣) التغزغز(١٢٤)، وحواصل(١٢٥) هراة، وتكك(١٢٦) أرمينية، وجوارب قزوين.

وأفرشني: بُسْط أرمينية، وزلالي(١٢٧) قاليقلا(١٢٨)، ومطارح(١٢٩) ميسان(١٣٠)، وَحُصُرُ بغداد، وأخدمني: خصيان الروم، وغلمان الترك، وسراري(١٣١) بخارى، ووصائف سمْرقند، وحمِّلني على عتاق(١٣٢) البادية ونجائب(١٣٣) الحجاز، وبراذين(١٣٤) طخارستان(١٣٥)، وحمير مصر، وبغال برذعة(١٣٦).

ورزقني تفاح الشام، ورطب العراق، وموز اليمن، وجوز الهند، وباقلاء الكوفة، وسكر الأهواز، وعسل أصبهان، وتمر كرمان(١٣٧)، ودَبْسُ(١٣٨) أرجان(١٣٩)، وتين حلوان(١٤٠)، وعنب بغداد، وَعُنَّاب(١٤١) جرجان، وأجاص بُست(١٤٢)، ورمان الري، وكثرى نهاوند، وسفرجل نيسابور، ومشمش طوس(١٤٣)، ومَلْبَن مرو(١٤٤)، وبطيخ خوارزم.

وأشمنى: مسك تُبَّت(١٤٥)، وعود الهند، وعنبر الشحر(١٤٦)، وكافور قنصور(١٤٧)، وأُتْرُج(١٤٨) طبرستان، ونارنج(١٤٩) البصرة، ونرجس(١٥٠) جرجان، ونيلوفر(١٥١) السيروان(١٥٢)، وورد جور(١٥٣)، ومنثور(١٥٤) بغداد، وزعفران قم، وشاهِسْفَرَم سمْرقند(١٥٥).

فقال عضد الدولة في انبهار عظيم: للّهِ درك يا أبا دُلف، مثلك ينادِمُ الملوك. وأمر له بخلعة وصلة حسنة.

وبعد فما نقول عن أبي دُلف إثر هذا؟ ألسنا محقين عندما قلنا عنه: إنه رحالة من طراز خاص؟ أو ليس من وصفه - بأنه كان: جغرافيًا من الطراز الأول لم يَعْدُ الحقيقة أبدا؟ . النَّصَفَةُ تقول: بلى.

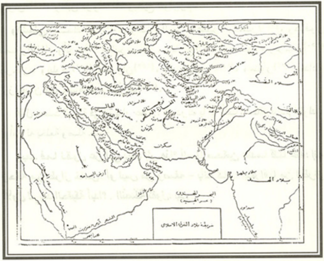
خريطة بلاد المشرق الاسلامي
البحر الهندي
بلاد الهند
الصين
أرض اليمامة
مكران
كرمان

خريطة رقم (٧)
المصدر : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى
صنَّفه وحققه عبدالمنعم ماجد - ورسم خرائطه وحقَّقه علي السقَّا
منشورات دار الفكر العربي - ط٢

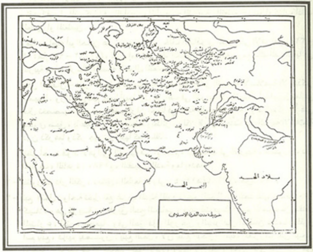
بلاد الهند
البحر الهندي
خريطة مدن الشرق الإسلامي

خريطة رقم (٨)
المصدر : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى
صنَّفه وحققه عبدالمنعم ماجد - ورسم خرائطه وحقَّقه علي السقَّا
منشورات دار الفكر العربي - ط٢

الهوامش والتعليقات

١ - نسوق مثلاً لذلك بذكر شخصيتين عِلْمِيَّتين، غطت شهرتهما في حقل معرفي جانبي على شهرتهما في اهتمامهما العلمي الأساس. فهذا أبوعبدالله محمد بن سحنون بن سعيد (٢٠٢ - ٢٥٦هـ/٨١٧ - ٨٦٩م)، بن العالم والفقيه المغربي المالكي الأشهر: سحنون ابن سعيد صاحب المدونة الكبرى في الفقه، كان عالمًا مبرزًا في علوم الشريعة، وعلى رأسها الفقه، متقدمًا فيها. ألَّف كتابًا في التأديب والمتأدبين - التربية والتعليم -، سماه كتاب آداب المعلمين أو المتعلمين.

وهذا مواطنه أبوالحسن علي بن محمد بن خلف المعافري القيرواني الإفريقي (٣٢٤ - ٤٠٣هـ/٩٣٥ - ١٠١٢م)، كان إمامًا في علم الحديث رأسًا فيه، ومع ذلك ألَّف كتابًا في التربية سماه: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين.

هذان المؤلفان - طيَّرا للرجلين صيتًا وشهرة، فلا تذكر التربية الإسلامية إلاَّ ويذكر اسميهما. وزاد في شهرتهما أنهما أول من ألَّف في التربية الإسلامية. أما تبريزهما في حقل تخصصهما الأصلي، فقد يذكران أحيانًا في جملة علماء الشريعة، وقد لايذكر إلاَّ على مستوى ضيق، باعتبار أن لهما أشباها ونظائر، ولكن قلَّ أن يُتَحَدَّثَ عن التربية الإسلامية دون ذكرهما وذكر جهودهما فيها كما أسلفنا.

انظر أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دراسات في التربية. منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، التقديم والمقدمة وما بعدهما.

٢ - منشورات دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص: ٢٣٤.

٣ - ينبع النخل: واحة نخيل تقع غرب المدينة المنورة نحو الشمال، وتبعد عنها مسافة ١٥٠ كيلاً، وهي قريبة من طريق الحج الشامي، وعرفت بهذا الاسم المأخوذ من الفعل المضارع، لكثرة ينابيعها. وفي الحق فإن المؤرخين والجغرافيين المسلمين عندما يطلقون اسم ينبع، فإنهم يقصدون: ينبع النخل، لأن ينبع البحر - الميناء المعروف على البحر الأحمر - لم يعرف إلاَّ متأخراً بهذا الاسم، وذلك لأن الميناء القديم الذي يدل عليه هو: أكره (بين الوجه وأملج) بجانب ميناء الجار التاريخي (الرايس الآن).

والمسافة بين ينبع النخل وينبع البحر لاتزيد على ٥٢ كيلا. وينبع النخل هي بلاد جهينة، وسكنها معها كذلك: الأنصار، وبنو حسن بن علي بن أبي طالب الذين استوطنوها وفشا نسلهم فيها.

انظر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، منشورات دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٥ أجزاء، جـ٥، ص:٤٤٩ - ٤٥٠، حمد الجاسر: بلاد ينبع - لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص: ٢٧ - ٢٨، ٤٣.

٤ – انظر خير الدين الزركلي : الأعلام، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، ٨ مجلدات، المجلد السابع، ص: ٢١٦، حيث ترجمته والإشارة إلى مصادر الترجمة، ثم انظر كذلك، حمد الجاسر، بلاد ينبع – لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة، ص:١١.

٥ – نشرته دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع بالرياض في المملكة العربية السعودية في سلسلة المكتبة الصغيرة، وقد طبع أربع طبعات آخرها طبعة سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦ – انظر الكتاب، الطبعة الرابعة منه، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص: ١٩ – ٢٠.

٧ – الثعالبي أبو منصور عبدالملك الثعالبي النيسابوري (ت ٤٢٩هـ/١٠٢٧م): يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٤ أجزاء، جـ٣، ص: ٤١٣ – ٤١٤.

٨ – من هؤلاء الزركلي : الأعلام، المجلد السابع، ص: ٢١٦، عبدالرحمن حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، ص: ٢٣٤، وانظر عبارات التضعيف عند محمد عبدالمنعم خفاجي: أبو دُلف الخزرجي، ص: ٢٠.

٩ – دولة من الدول التي قامت في أنحاء مختلفة من الأمصار الإسلامية إبَّان ضعف الخلافة العباسية في عصرها الثاني. أسس هذه الدولة: نصر بن أسد الساماني – سليل أسرة فارسية عريقة – سنة ٢٦١هـ، وأتاه كتاب الخليفة المعتمد (٢٥٦ – ٢٧٩هـ/٨٦٩ – ٨٩٢م) بولايته على بلاد خراسان وما وراء النهر، ولمَّا مات نصر سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م، آلت الدولة وزعامة السامانيين إلى أخيه إسماعيل بن أحمد (٢٧٩ – ٢٩٥هـ/٨٩٢ – ٩٠٧م) الذي بلغت الدولة السامانية في عهده حدًا كبيرًا من القوة والاستقرار، ولاسيما بعد أن أسهم في إزالة خطر الدولة الصفارية في خراسان وطبرستان وسجستان – وظل أبناء إسماعيل بن أحمد يتوارثون الملك إلى أن تغلب على مملكتهم محمود الغزنوي سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م ومما يجدر ذكره هنا أن الدولة السامانية ظلت محافظة على طاعتها للخلفاء العباسيين طول مدة بقائها.

انظر الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك، منشورات دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، دون سنة للطبع، ١٣جزءًا، جـ١١، ص: ٢٣٥ وما بعدها، ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ): تجارب الأمم، منشورات شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ٦ مجلدات، المجلد الثاني، ص: ١٠٠ – ١٠٤، ١٤٧ – ١٥٧، المجلد الثالث، ص: ١٩٠ وما بعدها في صفحات متناثرة، ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليها نخبة من العلماء، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٠ أجزاء، جـ٥، ص٦٤، ٦٨، ١٠٠، جـ٦ في صفحات متناثرة في معظم صفحات الكتاب، جـ٧، ص: ١٩٦ – ١٩٧، جـ٩، ص: ١٠٢، وانظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، منشورات مكتبة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٢، ٤ مجلدات، المجلد الثالث، ص: ٧١ – ٨٢.

١٠- دولة بني بويه (٣٢٠ - ٤٤٧هـ/٩٣٢ - ١٠٥٥م)، دولة من الدول الإسلامية التي قامت في قلب الخلافة العباسية في عصرها الثاني، وزاحمت الخلافة حتى سمى عصرها بعصر بني بويه.

كادت الدولة البويهية أن تقضي على الخلافة العباسية تماماً بعد أن قضت على نفوذها السياسي. وآل بويه هم أبناء ثلاثة رجال من أبناء أسرة فارسية ديلمية: عليٌّ، وهو أكبرهم سناً وأكثرهم جهداً في تحقيق ملك بني بويه، ثم الحسن، ثم أحمد، ولقد ظلت الأسرة التي اختلف في نسبها - وإن لم يختلف في أصلها الفارسي الديلمي - يتوارثها أبناء وأحفاد هؤلاء الملوك الثلاثة، وبسطت نفوذها على بلاد العراقيين: العربي، والعجمي، وطبرستان.

عن هذه الدولة، انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد السادس، ص: ٢٣٠ وما بعدها، أي حوادث سنة ٣٢٠ - ٣٥٠هـ/٩٣٢ - ٩٦١م وما يتصل ببني بويه منها، ثم انظر الجزء السابع في صفحات تكاد تشمل نصف الجزء هذا، وكذلك الجزء الثامن، في حوادث السنوات التي تلت سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م حتى حوادث سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. ثم انظر ابن مسكويه: تجارب الأمم، المجلد السادس، ص: ٢٧٥ - ٢٨٤، ٢٩٥ - ٣٠٨، ٣٥٢ - ٣٥٧، ٣٧٧ - ٣٨٦، ٤١٠ - ٤١٢، وانظر حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، المجلد الثالث، ص: ١٠٣ - ١١٤.

١١- ابن العميد، هو: أبو الفضل محمد بن العميد: أبي عبدالله الحسين بن محمد، الوزير المشهور. وزر للأمير ركن الدولة بن بويه البويهي. اشتهر بحسن السياسة، وتدبير الملك، هذا إلى علو كعبه في حقول معرفية وعلمية، منها الفلسفة والأدب بخاصة، الذي كان فيه وفي ترسله إماماً وحده في زمنه. لقبوه بالجاحظ الثاني. توفِّي ابن العميد سنة ٣٦٠هـ/٩٧٠م، وقيل سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م.

للتوسع والاستزادة في أخباره، انظر الثعالبي: يتيمة الدهر، المجلد الثالث، ص: ١٨٣ - ٢١٣، ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ، المجلد الخامس، ص: ١٠٣ - ١١٣.

١٢- الصاحب بن عباد، هو الوزير البويهي الشهير: إسماعيل بن عباد بن العباس، يكنى أبا القاسم: لقِّب بالصاحب لصحبته للأمير مؤيد الدولة بن بويه البويهي الذي استوزره، وهو الذي سماه بالصاحب. وقيل بل لصحبته لأبي الفضل بن العميد وزير الأمير ركن الدولة البويهي. كان الصاحب بن عباد، آية في الأدب والعلم والفضل والكرم. أحال ديوان وزارته إلى دوحة أدبية يانعة، وقصده الشعراء والأدباء من كافة الأصقاع. ولقد كان له في ميدان التصنيف باعًا كبيرًا، إذ صنَّف عدداً من الكتب منها: كتاب: المحيط في اللغة، وكتاب الكافي في الرسائلي، وكتاب الوزراء، وغير ذلك، توفِّي وهو على رأس الوزارة بمدينة الريّ سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م، ودفن بمدينة أصبهان.

للتوسع والاستزادة في أخباره ونوادره، انظر الثعالبي: يتيمة الدهر - المجلد الثالث، ص١٨٣ - ٢١٣، ياقوت الحموي (٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم الأدباء، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ٢٠ جزءاً، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، جـ٦، ص١٦٨ - ٣٦٧، ابن خلكان : وفيات الأعيان، المجلد الأول، ص: ٢٢٨ - ٢٣٣.

١٣- راجع محمد عبدالمنعم خفاجي: المرجع السابق نفسه، ص: ٧٥ - ٧٦.

١٤- السلامي الشاعر (أبو الحسن محمد بن عبدالله السلامي (٣٣٦ - ٣٩٣هـ/٩٤٧ -١٠٠٢م) شاعر من شعراء العراق المعروفين، وقد اتصل بعضد الدولة البويهي، ومدحه بأشعار غزيرة.

انظر، الثعالبي: المصدر السابق نفسه، المجلد الثاني، ص: ٤٦٦ - ٥٠٦ (ترجمة واسعة)، ابن خلكان:المصدر السابق نفسه، المجلد الرابع، ص: ٤٠٣ - ٤٠٩.

١٥- البُستي (أبوالفتح علي بن محمد الكاتب (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) شاعر من شعراء خراسان. له ترجمة واسعة عند الثعالبي: المصدر السابق نفسه، المجلد الرابع، ص: ٤٠٣ - ٤٠٩، ابن خلكان: المصدر السابق نفسه، المجلد الثالث، ص: ٣٧٦ - ٣٧٨.

١٦- انظر الفصل الثالث، ص: ٩١ - ١٠٢ مع الحواشى.

١٧- انظر الفصل الثاني، ص: ٨١ - ٩١ مع الحواشى.

١٨- المرجع السابق، ص: ٣١، ٣٣.

١٩- المرجع السابق، ص: ٥٩.

٢٠- ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص: ٤٤١، محمد عبدالمنعم خفاجي: المرجع السابق، ص: ٣١ - ٣٢، ٥٩ - ٦٣. الحقيقة إذا كان من إضافة هنا عن قصة ذلك الزواج فهي الإشارة إلى أن موضوع المصاهرة مع الملك الساماني كان أصلاً عرضاً من ملك الصين: قالين بن الشخير، الذي رغب في مخالطة نصر بن أحمد، ويبدو أنه أراد أن يخطب الفتاة لنفسه، فلمّا أبى الملك نصر ذلك على نحو ما أوضحنا في المتن، ما كان من رسل الملك الصيني إلاّ أن عرضوا العرض الآخر وهو أن يزوج بعض (وهذا هو نص العبارة عند ياقوت) ولده، ابنة ملك الصين وعلى أي حال، فقد وصل الوفد إلى مدينة : سندابل، قصبة مملكة الصين وبهادار المملكة، كما هو تعبير أبي دُلف، فقابلهم الملك، وأمضى ما اقترحه الرسل على الملك الساماني، وأحسن إلى الرسل، وإلى أبي دَلف، ثم جهز الفتاة، وبعثها إلى بخارى في رفقه حاشية، تقع في نحو مائتي خادم وثلاثمائة جارية من خواص خدمه وجواريه.

انظر ياقوت : معجم البلدان. جـ٣، ص: ٤٤٠، ٤٤١.

٢١- ياقوت : المصدر السابق نفسه والجزء أعلاه، ص: ٤٤١.

٢٢- المرجع السابق، ص: ٦٣.

٢٣- نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، منشورات دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص: ٢٠٤.

٢٤- كَلَّهْ، قال عنها محمد بن عبدالمنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م): الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، نشر مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٥م، ص: ٤٩٢: جزيرة من جزر الهند، كبيرة بها معدن الرصاص القلعي. ولقد ذكر المحقق إحسان عباس أن الباحثين اختلفوا في تحديد: كَلَّهْ، فذهب خويه (مستشرق هولندي، له كتاب: مكتبة الجغرافيين العرب) إلى أنها هي Keda أو Kra في شبه جزيرة الملايو. وقال غيره إنها شبه جزيرة ملكه المقابلة لسومطرة، وذكر ثالث أنها هي Pointede-de-Galle، عند شواطئ سيلان الجنوبية.

٢٥- ياقوت : المصدر السابق، ج٣، ص: ٤٤٥، ج٤، ص: ٣٨٩.

٢٦- قال ياقوت : المصدر السابق نفسه، ج٣، ص: ٢٥٦ : سميران : قلعة حصينة على نهر عظيم جارٍ بين جبال في ولاية تارم. (تارم كورة واسعة كما يقول ياقوت : نفسه، ج٢، ص:٦، بين قزوين وجيلان).

٢٧- محمد بن مسافر، هو ابن مؤسس عائلة الديلم من بني مسافر، وفي عام ٣٣٠هـ/٩٤١م، قام أولاده بعزله.

انظر بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية لأبي دُلف رحالة القرن العاشر (الميلادي)، نشر وتعليق محمد منير مرسي، منشورات عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، حاشية رقم (١)، ص: ٤٤.

٢٨- ياقوت : المصدر السابق والجزء أعلاه، ص: ٢٥٦.

٢٩- ولاية بإقليم آذربيجان، يمر بها القاصد من أردبيل إلى تبريز في الجبال.

ياقوت : المصدر السابق، ج٥، ص: ٢٢٤.

٣٠- بحر طبرستان : بحر قزوين، وله عدة أسماء أخرى مثل: بحر جرجان، بحر الخزر، بحر خراسان، بحر الباب.

إغناطيوس كراتشوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص: ١٠٩٠.

٣١- باكويه : بلد من نواحي الدربند (إقليم محيط بالبحر الأسود)، وهي باكو الآن عاصمة جمهورية آذربيجان (السوفيتية سابقًا)، وتظل على بحر قزوين.

انظر ياقوت : المصدر السابق، ج١، ص: ٣٣٨، محمد السيد غلاب وآخرون: البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بمناسبة المؤتمر الجغرافي الأول، سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص: ٣١٢.

٣٢- قَبالتها : القبالة - بالفتح - الكفالة، وهي في الأصل مصدر : قبل إذا كفل، وقيل بالضم إذا صار قبيلاً، أي كفيلاً.

ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت، ١٥ مجلدا، المجلد الحادي عشر، ص: ٥٤٤.

٣٣- ياقوت : المصدر السابق نفسه، جـ١، ص: ٣٢٨.

٣٤- التوتياء : حجر يكتحل بمسحوقه.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية. القاهرة، جزآن، المطبعة العلمية، طهران، الجزء الأول، ص:٩٠.

٣٥- الزاج: مستحضر كيميائي، وهو حامض الكبريت.

عمر رضا كحالة: العلوم البحتة في العصور الإسلامية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص: ٢٥٢.

٣٦- خُزَامَى : كبارى، نبت طيب الريح أو خيرى البر، كما في الصحاح، وقال أبو حنيفة: زهرة من أطيب الأزهار، واحدته خزاماة.

انظر محمود مصطفى الدمياطي: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي (محمد مرتضى بن محمد بن عبدالرزاق أبو الفيض الحسينى الزبيدي). (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م): منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص: ٥١.

٣٧- الشِّيح : جمع أشياح، نبت سهلي يتخذ من بعضه المكانس، وهو الأحرار. له رائحة طيبة وظعم مُر، وهو مرعى للخيل والنعم، ومنابته القيعان والرياض.

محمود مصطفى الدمياطي: معجم أسماء النباتات، ص: ٨٥.

٣٨- السُنْبُلُ الرُومَى، هو الناردين.

محمود مصطفى الدمياطي: المرجع السابق نفسه، ص: ٧٦. أما الناردين فقد جاء في المعجم الوسيط، جـ١، ص: ٤٥٥ عنه ما نصه: الناردين: نبات يستخرج من جذور بعض أنواعه عطر مشهور.

٣٩- لعل الرحَّالة هنا يقصد بالماء الحامض المفتح: ماء الفضة المسمى حامض النتريك.

انظر أحمد أمين : ظهر الإسلام، منشورات دار الكتاب العربي، جزآن، ٥ طبعات، ط٥، الجزء الثاني، ص: ١٩٢.

٤٠- ما قدمه أبو دلف مجملاً بشأن الزرنيخ ومقالعه، أفاض جغرافي آخر في الحديث عنه، فقد ذكر ابن حُوقل أن بأرمينية مقالع للزرنيخ المجلوب إلى سائر الأرض، وممَّا قاله عنه: إنه هو أصل الزرنيخ، ومنه الأحمر والأصفر.

انظر ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) : صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص: ٢٩٧. والزرنيخ: عنصر شبيه بالفِلِزَّات. له بريق الصلب ولونه، ومركباته سامة، يستخدم في الطب وفي قتل الحشرات.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، جـ١، ص: ٣٩٤.

٤١- بصدد الأسواق التي أشار إليها أبو دُلف، نجد عند ابن حوقل مثلاً معلومات طريفة عن هذه الأسواق الأسبوعية في أرمينية ومدنها المختلفة، ومن تلك الأسواق السوق المعروف بالكركى الكبير والممتد إلى مسافة تصل إلى فرسخ (أي ٣ أميال).

وقد غلب اسم هذا السوق على اسم اليوم الذي كان يُقام فيه، وهو يوم الأحد من كل أسبوع، حتى أن كثيراً من أهل تلك البلاد إذا عدّ أيام الأسبوع، قال: الجمعة والسبت، والكركى، والإثنين (ن. هـ)، وإن كان ابن حوقل لم يوضح لنا ماتعنيه هذه الكلمة الدارجة؟

انظر ابن حوقل : صورة الأرض، ص: ٢٩١.

٤٢- بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية لأبي دُلف رحالة القرن العاشر، ص: ٥٣، ٥٦.

٤٣- انظر بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية نفسها لأبي دُلف، ص: ٥٤ - ٥٥.

٤٤- أفلوغونيا، وصفها ياقوت: المصدر السابق، جـ١، ص: ٢٣٢، بأنها مدينة كبيرة من مدن بلاد الأرمن من نواحي أرمينية.

٤٥- إذا كان أبو دُلف يقصد تفرد النصرانية بمسألة الاعتراف والكفّارة هذه، دون الأديان السماوية الأخرى: اليهودية والإسلام، فهو محق في ذلك. أما إذا كان يقصد تفرد الأرمن وحدهم - وهو ما قد توحي به عبارة: ... وليس هذه ... إلاّ في هؤلاء- فهو مخطئ؟ لأن هذه المسألة، هي عادة نصرانية مألوفة في معظم طوائف النصارى منذ أيام النصرانية - بعد تحريفها -، وهي المعروفة بمراسم الكفّارة أو صكوك الغفران.

ولعلنا هنا نجد لزاماً علينا توضيح أصل هذه العادة، أي الاعتراف، فهو أحد الأسرار الكنسية السبعة - ويسمى أيضاً: سر التوبة - أخذ به المسيح، كما يزعم إنجيل يوحنا، عندما قال لرسله: خذوا الروح القدسي: من غفرتم خطاياهم يغفر لهم، ومن أمسكتموها تمسك لهم. وتمر التوبة بطقوس مرعية، فعلى المعترف أن يقر بخطاياه للكاهن، وأن يكون نادماً وتائباً حقّاً، بحيث يعزم على ألاّ يعود إليها أبدا، وأن يتجنب كل الظروف والأسباب التي تدفع نحوها، وعليه أن يصلح ما أفسد، ويعيد ماسرق. وعند هؤلاء النصارى، ليس للكاهن في سر الاعتراف، إلاّ أفسد في يد الله (هكذا!!)، إذا لاسلطة للعبد في غفران الخطايا، ولايجوز للكاهن أن يفشي سر الاعتراف.

أخيراً، من المعروف أن مسألة الاعتراف هذه، كانت إحدى نقاط الإصلاح الديني، الذي نادى به مارتن لوثر وغيره، أي جماعة البروتستانت في العصور الوسطى، فقد أنكر هؤلاء هذا الأمر على الكنيسة، وثاروا عليها - ويمكن القول إن مسألة غفران الذنوب، ثم الصكوك التي تعد لذلك، كان دافعه الحصول على المال من قبل البابوية. وفي إبان الحرب الصليبية، كان جمع المال في أول الأمر وسيلة للإعفاء من الاشتراك في

تلك الحروب، ثم أصبح وسيلة لغفران الذنوب: ما مضى منها وما هو آت، دون حاجة إلى توبة أو رد ظلامة، كأنَّما هو تصريح بارتكاب كل الجرائم، بعد أن ضُمنت للمعترف الجنة كما يقول أحمد شلبي في موسوعته: مقارنة الأديان.

ومن المناسب في هذا الصدد الإشارة إلى أن خلوات الاعتراف هذه يحدث بها تصرفات مشينة، ولاسيما عندما يكون المعترف امرأة. ولا نجد ختمًا لهذه المسألة التي لايقرها دين ولاخلق إلاّ التذكير بالفارق الكبير بين إجراءات التوبة هذه النصرانية الذميمة، وبين توبة المسلم التي تعتبر غاية في السهولة واليسر، ولاتتطلّب أبدًا أية وساطة بين العبد وربه عن مسألة الاعتراف هذه، ومسائل الإصلاح الديني ومواقف البروتستانت انظر المبحث الواسع الذي كتبه: ول ديورانت: قصة الحضارة، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٧١م (نسخة مصورة)، ترجمة عدد من الباحثين العرب، ٣٦ جزءاً، الجزء ١٦، ترجمة محمد زيدان، ص: ١٤ - ٢٠، ٤٧.

انظر كذلك أحمد شلبي: مقارنة الأديان، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٩ طبعات، ط٩، ١٩٩٠م، ٤ أجزاء، الجزء الثاني: (المسيحية)، ص:٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٥٣ - ٢٥٦، محمد شفيق غربال وآخرون: الموسوعة العربية الميسَّرة، منشورات دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م، ص: ١٧٢.

٤٦- الرَّيُّ: مدينة من أمهات مدن إيران، وقد انتسب إليها عدد من علماء الأمة ومفكريها من أمثال الطبيب المشهور أبوبكر الرازي، والإمام الحافظ المصنف فخر الدين الرازي، وغيرهما. والنسبة إليها - أي المدينة - رازي بغير قياس.

ياقوت: نفسه، جـ٣، ص: ١٢٠ وما بعدها، الحميري: الروض المعطار في خير الأقطار، ص: ٢٧٩.

٤٧- قال ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، ص: ١٤١، كسور الثوب والجلد: غضونه.

٤٨- هذه صفات مشتركة بين الشعوب، وليست وقفًا على شعب دون آخر.

٤٩- بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: المرجع السابق، ص: ٧٧ - ٧٨ بتصرف يسير.

٥٠- رام هرمز، وأحيانًا تكتب: رامهرمز، لأنها تسمية مركبة: مدينة من مدن إقليم الأهواز، وقد تسمى من قبل العامة: رامز، كسلاً منهم عن تتمة اللفظة بكمالها واختصارا.

ياقوت: نفسه، جـ٣، ص: ١٧.

٥١- أعيانا تفسير هذه العبارة الغامضة لأبي دُلف، فلسنا ندري ما إذا كانت الأبنية: قديمة قدم عاد، أم أنها عادية مثل غيرها من الأبنية الأخرى في المدن والقرى التي زارها؟ ومصدر عجزنا في تفسير هذه العبارة، يعود إلى أننا لم نعثر لدى ابن حوقل ولا المقدسي ولاياقوت ولا الحميري، الذين عُدنا لمؤلفاتهم في مادة: الراء أو إقليم الأهواز - خوزسان - حيث

تقع المدينة مايشير إلى تلك الأبنية وطبيعتها، ولعلنا نميل إلى أن المقصود بذلك الرأي أو الاحتمال الأول، لأن سياق كلمة عجيبة التي وصف بها تلك الأبنية، قد يدل على ذلك.

٥٢- السَّلْمُ: لدغ الحيَّة، والسليم: اللَّديغ على وزن فعيل من السلم، وقد قيل هو من السلامة، وسمى اللَّديغ سليماً على التفاؤل، وقد يُستعار السليم للجريح المشفي على الهلكة وهو من الأضداد.

الأنباري (محمد بن القاسم) (ت ٣٢٧هـ/٩٣٢م):

الأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص: ١٠٥ - ١٠٦.

٥٣- الكبريت: مادة معدنية صفراء اللون، شديدة الاشتعال، توجد حول البراكين.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٧٧٩. ولقد ذكر محققا الرسالة الثانية لأبي دُلف تعليقًا على هذه الكلمة في الحاشية، أن الكبريت الأصفر هذا، يبدو أنه كان يستخرج من قاع خليج فارس والعرب، وربما كان يحتوي على مادة فوسفورية من مياه البحر.

بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: الرسالة الثانية لأبي دُلف، حاشية (١)، ص: ٩٥.

٥٤ - بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: المرجع أعلاه نفسه، ص: ٩٤ - ٩٥ بتصرف يسير.

٥٥ - أنظر ياقوت: نفسه، ج٣، ص: ٤٤٠ - ٤٤١.

٥٦ - المستقرئ لكتب صناعة الكتابة، أو ديوان الإنشاء في الدول الإسلامية، يجد في بعض أساليبها ما ينفر عنه الطبع فضلاً عن الدين. فمن أصول المكاتبات وترتيبها التي غدت قواعد مرعية في مخاطبة كثير من الملوك من قبل وزرائهم وكتَّابهم الحرص على استخدام ألفاظ الخضوع والذل والانقياد المنهى عنها شرعاً. وتكفي مطالعة لكتاب واحد من تلك الكتب، وهو: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي، لتبين هذا الفعل المذموم، فها هنا ألفاظ: وليِّه، وعبده، وخادمه، أو العبد الخادم، الصنيعة، المملوك، المملوك الصنيعة، وأحياناً المملوك الرق. وهذا محظور في نظر الشرع فالعبودية لاتكون إلاَّ لله. والعبودية التي هي الانقياد والاستسلام، والخضوع والذي لاينبغي أن تكون لغير الله أبدا، وإذا كان الرسول ﷺ، نهى أن يقول السيد لمن يسترقُّه: عبدي، فقال في الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن أبي هريرة «لايقولن أحدكم عبدي فكلكم عبد ولكن ليقل فتاى، ولايقل ربي فإن ربكم ولكن ليقل سيدي»، فكيف إذن بغير الأرقاء؟.

ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية الذي تتبع - مثلما فعل غيره من علماء الإسلام رحمهم الله - موضوع العبودية، فكتب بحثًا مفيداً في ذلك في معرض فتاويه، وقد وضح رحمه الله أن العبودية المحضة هي تعلق بين العبد وبين الله، وأن لفظ العبودية يتضمن كمال الذل، وكمال الحب لله، ولايكون محباً لله إلاَّ من يتبع رسوله، وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق العبودية، وأن يستسلم المسلم له وحده عز وجل، والمستسلم له ولغيره مشرك... إلى غير ذلك.

عن المكاتبات وألفاظها، انظر القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه يوسف على طويل، وقد ضُبطت هذه الطبعة وقُوبلت على طبعة دار الكتب المصرية، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١٤جزءاً، الجزء السادس، ص: ٣٣٢ – ٣٣٤ وعن الحديث النبوي انظر أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م) : مسند الإمام أحمد بن حنبل، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٦ مجلدات، المجلد الثاني، ص: ٤٩٦.

أما عن موضع العبودية فانظر ابن تيمية (ت ١٣٢٨هـ/١٩٧٨م) : العبودية (مستَلّة من فتاويه الكبرى، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، ص: ١٩، ٢٥، ٣٠، ٣٥ – ٤٠.

٥٧ – السَّمْتُ : القصد والمحجة، بمعنى الطريق المستقيم.

ابن منظور: لسان العرب، جـ٢، ص: ٤٦ –٤٧.

٥٨ – بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: المرجع السابق، ص: ٢٩ – ٣٠.

٥٩ – المرجع السابق، ص: ٦٠، ٦٤.

٦٠ – نفسه، ص: ٦٣.

٦١ – نفسه، ص: ٦١.

٦٢ – إغناطيوس كراتشوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص: ٢٠٤ – ٢٠٦، وانظر كذلك بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ١٥.

٦٣ – كراتشوفسكي : المرجع السابق، ص: ٢٠٤ – ٢٠٦.

٦٤– انظر في هذا الصدد: بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف : نفسه، ص: ٢٩.

حيث نقلا ذلك عن النديم في كتابه الفهرست. ولقد جهدت في أن أجد ذكراً لذلك في النسخة التي بين يدي من الفهرست، منشورات : دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (دون سنة للطبع)، دون جدوى.

٦٥ – انظر كذلك بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ٩.

٦٦ – المرجع السابق، ص: ٦٠.

٦٧ – المصدر السابق، جـ١، ص: ٢٠٧.

٦٨ – انظر : المصدر السابق، الجزء الثالث، ص: ٤٤٠ – ٤٤١ على سبيل المثال.

٦٩ – الرسالة الثانية لأبي دُلف، ص: ٢٣.

٧٠ – منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥م، ص: ٣٣ – ٣٤.

٧١ – انظر كراتشوفسكي : المرجع السابق، ص: ٢٠٦ – ٢٠٧.

٧٢ - المرجع السابق، ص: ٦٥.

٧٣ - المرجع السابق، ص: ٢٠٤ - ٢٠٦.

٧٤ - المرجع السابق، ص: ١٩ - ٢٤.

٧٥ - المرجع السابق، ص : ٢٠٦.

٧٦ - انظر بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف: نفسه، ص: ٣٠ - ٣١.

٧٧ - التصعيد : التقطير الجاف (تسخين الأشياء الجامدة لاستخراج خلاصتها من غير أن تمرَّ في طور السائل).

عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م ص: ٢٤٥، ٢٤٩.

٧٨ - التقطير : غلي الأشياء في الماء لاستخراج خلاصتها روحاً (غازًا) أو سائلاً (ماءً).

عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب، ص: ٢٤٥.

٧٩ - التكليسات : معالجة المعادن والأحجار حتى تصبح مسحوقًا ناعمًا.

عمر فروخ: تاريخ المرجع أعلاه نفسه، ص: ٢٤٩.

٨٠ - الركاز : قطع الذهب والفضة تخرج من الأرض، وفي لغة أهل الحجاز: كنوز الجاهلية.

ابن منظور : المصدر السابق، جـ٥، ص٣٥٦.

٨١ - عند ياقوت: نفسه جـ٣، ص: ٣٨٣: المعادن، ويبدو أن هذا هو الذي يتوافق والسياق.

٨٢ - الشيز : مدينة صغيرة من مدن إقليم آذربيجان، وتقع بين المراغة وزنجان وشهرزور.

ياقوت : نفسه : جـ٣، ص: ٣٧٣.

٨٣ - قال ياقوت : نفسه، جـ٥، : ٩٣، مراغة : بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد آذربيجان، وهناك أكثر من موضع يدعى المراغة، على أن هذه أشهرها - ينسب إلى مراغة جماعة من العلماء والأدباء لعل من أشهرهم : جعفر بن محمد بن الحارث أبو محمد المراغى، أحد الرحالين في طلب الحديث وجمعه المتوفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٦م.

٨٤ - زنجان : بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها.

ياقوت : نفسه، جـ٣، ص: ١٥٢. أما الجبال، فهي جمع جبل، وهو اسم أطلقه العرب على العراق العجمى (ميدية القديمة) وبعبارة أخرى، هي : الولاية التي تحدُّ من ناحية الشرق بصحراء خراسان وفارس، ومن الغرب بآذربيجان، ومن الشمال بسلسلة جبال البرز، ومن الجنوب بالعراق العربي وخوزستان، وسميت بهذا الاسم لأنها جبال كلها فيما عدا السهل الممتد من همذان إلى الرى، والسهل الممتد نحو قم.

انظر هيوار (CI.Hyart) : دائرة المعارف الإسلامية، موسوعة أصدرها مجموعة من المستشرقين، وقد ترجمت إلى اللغة العربية بمعرفة نفر من الباحثين العرب، نشرتها عدة دور. والمادة المذكورة وردت ضمن منشورات دار الفكر، القاهرة، صدر منها ١٥ مجلدًا، المجلد السادس، ص: ٢٦٩.

٨٥ - دِيْنَوَرُ : قال عنها ياقوت : نفسه، جـ٢، ص: ٥٤٥ - ٥٤٦ : مدينة من أعمال الجبل (أي إقليم الجبال سالف الذكر أعلاه)، وهي من مدنه المشهورة، وينسب إليها مجموعة من العلماء وأهل الأدب - منهم أبوحنيفة الدينورى، صاحب الأخبار الطوال المتوفى سنة: ٢٨٢هـ/٨٩٥م، - ولم يذكره ياقوت في معجمه -.

٨٦ - الأسرب : الرصاص.

إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط ج١، ص: ١٧.

٨٧ - الجمست : عند ياقوت : نفسه، جـ٣، ص: ٣٨٣: الجُسْت. ولقد جهدت في معرفة ماتعنيه هذه اللفظة دون جدوى. على أني وجدت في مادة: جَسأ، في المعجم الوسيط، مايشير إلى أن من معانيها اليبوسة والصلابة، فهل لفظة: جُسْتُ، تعني مقدار مايتميز به معدن الحجارة الذي أشار إليه أبو دُلف من صلابة ويبوسة؟.

انظر إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط ج١، ص: ١٢٢.

٨٨ - الْمُثَقَّلَةُ : رَخَامَة يُثَقَّل بها البساط.

ابن منظور : المصدر السابق، جـ١١، ص: ٨٧١.

٨٩ - الجريب : وحدة قياس مساحية، وقد عرفُه ابن منظور: نفسه، جـ١، ص: ٢٦٠ بقوله: الجريب: مقدار معلوم من الأرض، وقال نقلاً عن الأزهري: الجريب من الأرض مقدار معلوم الذراع والمساحة، وهو عشرة أقفزة... وقيل الجريب من الأرض: نصف الفنجان، والجريب: قدر ما يزرع فيه من الأرض، والجريب: مكيال قدر أربعة أقفزة.

٩٠ - بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف : المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤ - ٣٥.

٩١ - تولت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية العمل على ترجمته من لغته الألمانية الأصلية إلى اللغة العربية بعناية عبدالحليم النجار، ورمضان عبدالتواب، وقد نشرته دار المعارف المصرية، القاهرة، في ٦ أجزاء. أما ما يتصل بهذه الإشارة الواردة في المتن، فقد وردت في الطبعة الثانية، ١٩٧٧م، الجزء الرابع، ص: ٢٤٥.

٩٢ - هو الذي بين أيدينا. وقد اعتمدنا عليه في بعض النقولات كما هو واضح، وكما سنشير إليه في موضعه من قائمة المراجع بعد -إن شاء الله.

٩٣ - انظر قبل، ص: من البحث.

٩٤ - الثعالبي : المصدر السابق، جـ٣، ص: ٤١٦ وما بعدها.

٩٥ - المسعودي (ت ٣٤٦ - ٩٥٧م) : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط٤، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جزآن، جـ١، ص: ١٠ -١١.

٩٦ - لطائف المعارف: واحد من كتب أبي منصور الثعالبي المشهور بكتابه يتيمة الدهر. وقد حققه إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، ونشرته دار إحياء الكتب العربي، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠. والنص منقول عن الصفحة ٢٣٤ وما بعدها بتصرف يسير.

٩٧ – عضد الدولة : هو أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي من أشهر ملوك بني بويه قاطبة. وقد اتسعت مملكته حداً لم يبلغه ملك أحد من بيته، وهو أول من خُوطب بالملك في الإسلام، وأول من خُطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة، وكان محباً للفضلاء، مشاركاً في عدة فنون. توفى سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م ببغداد.

انظر بن خلكان : المصدر السابق. جـ٤، ص: ٥٠ وما بعدها، حيث تفصيل واسع لترجمته، وكذلك انظر هامش ص : ٥٠، حيث أشار محقق الكتاب إحسان عباس إلى جملة من المصادر التي وردت في أخبار عضد الدولة.

٩٨ – هكذا ورد في متن لطائف المعارف للثعالبي، ص: ٢٣٤. أما في الهامش فقد أشار محقق الكتاب في حاشية(١) من الصفحة نفسها أنه الهاشمي، لم يعرفا به. ولقد أعياني العثور على ترجمة أو ذكر له في المظان التالية : يتيمة الدهر للثعالبي، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، معجم الأدباء لياقوت الحموي، وفيات الأعيان لابن حلكان. ويبدو أن الرجل كان مغموراً، ولذلك أغفلت ترجمته، أو لعله قد تُرجم له، ولم أقع على ذلك فيما تحت يدي من المصادر.

٩٩ – المدينة المعروفة الآن في المملكة العربية السعودية على طريق الشام، وقد ذكر ياقوت: معجم البلدان، جـ٢، ص: ٤٠٩ – ٤١٠ بأن خيبر موصوفة بالحمى.

١٠٠– البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل الهند بين البصرة وعمان كما يقول ياقوت: نفسه، جـ١، ص: ٣٤٧ وما بعدها.

١٠١– الجزيرة، وتسمى جزيرة أقُورَ، وهي التي تقع بين دجلة والفرات مجاورة الشام، وتشمل ديار مضر وديار بكر، وقد سميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، وهي موصوفة بكثرة الدماميل.

ياقوت : نفسه، جـ٢ ، ص: ١٣٤.

١٠٢– السنقر : طائر شريف حسن الشكل، أبيض اللون بنقط سود. وهو من سباع الطير.

النويري (ت ٧٢٣هـ/١٣٣٢م) : نهاية الأرب في فنون الأدب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، سلسلة من تراثنا، القاهرة، ٣٠جزءاً، الجزء التاسع، ص: ٢٠٤ – ٢٠٦.

١٠٣– دهستان، بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان.

ياقوت : نفسه، جـ٢، ص : ٤٩٢.

١٠٤– المشهور هو عرق اليمن، وإلى ذلك أشار النويري: نهاية الأرب، جـ١، ص: ٣٧١ عند حديثه عن خصائص البلدان الإسلامية. أما عبدالرحمن حميدة: نفسه، ص: ٢٢٦، فقد قال – دون ذكر سنده – إن العرق المدني يصيب الإنسان، وينسب إلى المدينة ٠– المدينة المنورة – لانتشاره فيها.

١٠٥- بلخ : مدينة مشهورة بخراسان، وهي أجلّ مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً.

ياقوت : نفسه. جـ١ ،ص: ٤٧٩.

١٠٦- مثل يضرب لمن يحمل شيئًا إلى بلد مشهور بهذا الشيء. وهجر المقصودة (الأحساء حاليًا بالمملكة العربية السعودية)، قال عنها ياقوت: نفسه، جـ٥، ص: ٢٩٣: مدينة، وهي قاعدة أو قصبة بلاد البحرين، وقيل ناحية البحرين كلها هجر، وقد رجَّحَ ياقوت ذلك.

١٠٧- سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة، وهي إحدى بلدان المشرق، وقد اشترط أهلها على المسلمين لمَّا فتحوها أن لايقتل في بلدهم قنفذ ولايصاد، لأنهم كثيرو الأفاعي والقنافذ تأكل الأفاعي، فما من بيت إلا وفيه قُنفذ.

ياقوت : نفسه، ج٣، ص: ١٩٠.

١٠٨- شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمذان، ومعنى شهر بالفارسية : مدينة، وبها عقارب قتالة أضر من عقارب نصيبين.

ياقوت : نفسه، جـ٣، ص: ٣٧٥ - ٣٧٦.

١٠٩- الجرارُة : عقرب صفراء صغير على شكل التبنة، وهي من أخبث العقارب. والجمع : جرارات.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، جـ١، ص: ١١٦.

١١٠- الأهواز : جمع هوز : كورة عظيمة، كان اسمها في أيام الفرس: خوزستان. أما في الإسلام فقد أصبح اسمها الأهواز، وهو اسم عربي. والأهواز إقليم أو كورة بين البصرة وفارس. وقد ذكر ياقوت أن الجرارات عقارب قتَّالة تجر ذنبها إذا مشت لاترفعه كما تفعل العقارب، والمقصود بهذا عقارب الأهواز.

ياقوت : نفسه، جـ١، ص٢٨٤.

١١١- البُرُودُ : ،وواحدها : بُرْدُ، ثوب فيه خطوط وخصَّ بعضهم به الوشى، والجمع : أبراد، وأبرد، وبرود.

ابن منظور : نفسه، جـ٣، ص٨٧.

١١٢- الدبابيج : واحدها الديباج: ضرب من الثياب، ويجمع على دبابج، ودبابيج، وهي ثياب متخذة من الإبريسم، وهو لفظ فارسي معرب.

ابن منظور : نفسه، جـ٢، ص: ٢٦٢.

١١٣- الخزُ : ذكر بن منظور : نفسه، جـ٥، ص: ٣٤٥ أنه المعروف من الثياب المشتق منه، عربي صحيح، والجمع خُزُوز.

١١٤- السوس: عدة مواضع في أمصار إسلامية مختلفة. والسوس المقصودة في المداعبة هي بلدة تقع في إقليم الأهواز.

انظر ياقوت : نفسه، جـ٣، ص: ٢٨١. ومما يؤكد أنها المقصودة بالنعت الذي وصفت به أنها أولاً بلدة مشرقية يعرفها أبو دُلف، وثانياً أن الثعالبي في كتابه لطائف المعارف، سالف الذكر، يقول عندما مرّ ذكر الأهواز:.... ومنها السوس التي بها طراز الخزوز الثمينة الملوكية.

انظر، ص: ١٧٤.

١١٥- الأُبُلَّة : مدينة بالعراق بينها وبين البصرة أربعة فراسخ ولها نهر يقع في شمالها، وجانبها الآخر على نهر غربي دجلة.

الحميري : المصدر السابق، ص: ٨.

١١٦- قال ابن منظور : نفسه، جـ٧، ص: ٣٢٠: السقلاطون: نوع من الثياب.

أما الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ/١٤١٤م): القاموس المحيط، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ٤ أجزاء، جـ٢، ص: ٣٧٦، ٣٧٩، فقد قال: السجلاط (السقلاط): ثياب كتّان موشية وكأن وشية خاتم. وسقلاطون بلد بالروم تنسب إليه الثياب.

١١٧- السِّنْجَابُ : حيوان أكبر من الجُرْذ، له ذنب طويل، كثيف الشعر، يضرب به المثل في خفة الصعود. ولونه أزرق رمادي، ومنه اللون السنجابي.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، جـ١، ص: ٤٥٦. أما محققا لطائف المعارف، فقد عرفا بالسنجاب - دون ذكر المصدر - بأنه حيوان على حد اليربوع أكبر من الفأر، وشعره في غاية النعومةو يتخذ من جلده الفراء... وهو كثير ببلاد الصقالبة والترك.

انظر، ص: ٢٢٢، حاشية رقم (٤). واليربوع كما جاء في المعجم الوسط، جـ١، ص: ٣٢٥: دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها.

١١٨- قال عنها الحميري : المصدر السابق، ص: ٢١٤، هي ناحية تجاور الصين كثيرة الخصب والمساكن.

١١٩- السَّمُّور : حيوان ثَدِيٌ ليلي من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن شمالي آسية.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسط، جـ١، ص: ٤٥٠.

١٢٠- بلاد البلغار في عرف المؤرخين والجغرافيين المسلمين هي البلاد التي تمتد من بحر قزوين شرقاً حتى البحر الإدرياتي غرباً، وقد أطلقوا عليها بلاد بلغاريا العظمى، وكذلك: بلاد الصقالبة الذين هم شعب أوروبي، وتحديداً : سلافي.

وانظر كذلك المادة الواسعة التي كتبها V.V.Bartold (بارتولد) (١٨٦٩-١٩٣٠م/١٢٨٦-١٩٤٩م): دائرة المعارف الإسلامية التي أصدرها مجموعة من المستشرقين، وقد ترجمت إلى اللغة العربية بمعرفة مجموعة من الباحثين العرب،

ونشرتها عدة دور. والمادة المذكورة وردت في منشورات دار الفكر، القاهرة، صدر منها ١٥ مجلداً، المجلد الرابع، ص: ٨٨ - ١٠٢.

١٢١- الفَنَكُ: ضرب من الثعالب. فروته أجود أنواع الفراء، وتسمى فراؤه فَنَكًا أيضًا.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٧١٠.

١٢٢- كاشغر: مدينة تقع في تركستان الشرقية التي ضمتها إليها الصين بالقوة سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وهي من أهم مدن بلاد التركستان الشرقية (سنكيانج): المقاطعة الجديدة باللغة الصينية.

عن كاشغر ودخول الإسلام إليها وعن تركستان الشرقية وضمها إلى الصين، انظر، عيسى يوسف ألب تاكين: قضية تركستان الشرقية، مؤسسة مكة للطباعة والأعلام، مكة، مطبعة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، الباب الأول، الباب الثالث.

١٢٣- الفاقم: حيوان يشبه السنجاب، إلاَّ أنه أبرد منه وأرطب، ولهذا هو أبيض يقق، وهو يجلب من بحر الخزر، وجلده يشبه جلد الفنك. النويري: المصدر السابق، جـ١، ص: ٣١٩.

١٢٤- التغزغز: قبيلة تركية من كبريات قبائل وسط آسيا. وقد أطلقه العرب على قبائل الأويغور، الذين ينتشرون بين الصين الشعبية الآن والاتحاد السوفيتي (السابق) فيما كان يعرف ولايزال ببلاد التركستان.

انظر بارتولد: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس، ص: ٣٢٢ - ٣٢٤.

على أن السيد الباز العريني يؤكِّد في كتابه: المغول، منشورات دار النهضة المصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص: ٣٠، ٣١ على أن التغزغز هم من الأغوز، أو الغز، وهم قبائل تركية معروفة. أما لفظة التغزغز، فإنها تعني القبائل العشرة، أي أن الأغوز يتألفون من عشرة قبائل، ومما يجدر ذكره أن السلاجقة الذين أقاموا إمبراطورية امتدت من تركستان الصينية حتى حدود مصرهم من هذه القبيلة.

١٢٥- الحَوْصَل، والحُوصَلَة، والْحَوْصلَة، والحوصلاء أمن الطائر بمنزلة المعدة من الإنسان. هكذا ذكر ابن منظور: نفسه، جـ١١، ص: ١٥٤، وقيل الشاة التي عظم من بطنها ما فوق سرتها. وقد نقل محققا لطائف المعارف عن أكثر من مصدر أن الحواصل هي الجلود التي تُلبس للتدفئة.

انظر حاشية(٥)، ص: ٢٠٠.

١٢٦- التِّكَكُ: واحدتها التِّكَةُ: رباط السراويل.

ابن منظور: نفسه، جـ١، ص٤٠٦.

١٢٧- الزلالي، واحدتها: الزِّلِّيَةُ: نوع من البسط.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ١، ص٤٠٠.

١٢٨- مدينة مشهورة من مدن أرمينية، وقد قال عنها ياقوت: نفسه، جـ٤، ص: ٢٩٩، تعمل بها البُسط المسماه بالقالي واختصاراً لكلمة قالقيلا.

١٢٩- المطارح، واحدتها: المطرح: المفرش.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٥٥٩.

١٣٠- ميسان: كورة واسعة كثيرة النخل والقرى بين البصرة وواسط العراق ياقوت: نفسه، جـ٥، ص: ٢٤٢.

١٣١- السراري: جمع، والواحدة: السُّرِّيَّة. وتسرى الجارية: من السُّرِّيَّة، وأصله تسرر من السرور، فأبدلوا من إحدى السراءات ياء، كما قالوا: تقضىً من تقضض.

ابن منظور: نفسه، جـ١٤، ص: ٣٧٨.

١٣٢- قال ابن منظور: نفسه، جـ١٠، ص: ٢٣٥: عَتَقَت الفرس تَعْتِقُ وعَتُقَتْ عَتقاً: سبقت الخيل فَنَجَتْ، وفرس عاتقٌ: سابق.

١٣٣- قال ابن منظور: نفسه، جـ١، ص: ٧٥٨ النجيب من الإبل: القوى منها الخفيف السريع.

١٣٤- البرذون: والجمع: براذين، ضرب من الدواب يخالف الخيل العراب، عظيم الخلقة غليظ الأعضاء.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ١، ص: ٤٨. ولم يفطن عبدالرحمن حميدة: المرجع السابق، ص: ٢٣٧، وكذلك محمد عبدالمنعم خفاجي: المرجع السابق، ص: ٤٤ إلى ذلك، أي أنهما أوردا هذا الاسم: بالزاي أخت الراء. أو لعله خطأ طباعي.

١٣٥- طخارستان: ولاية واسعة كما يقول ياقوت: نفسه، جـ٤، ص: ٢٣، وتشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان، وهي قسمان: طخارستان العليا وطخارستان السفلى، ومن أهم مدنها: الطالقان.

١٣٦- برذعة: ذكرها ياقوت: نفسه، جـ١، ص: ٣٧٩. فقال إنها بلد في أقصى آذربيجان، وقد نقل عن أحد الجغرافيين، أنها قصبة آذربيجان.

١٣٧- كرمان: ولاية مشهورة وناحية معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، وهي بلاد كثيرة النخل.

ياقوت: نفسه، جـ٤، ص: ٤٥٤.

١٣٨- الدبِس، والدِبْس: عسل التمر وعصارته. وقال أبوحنيفة: هو عصارة الرطب من غير طبخ، وقيل هو: مايسيل من الرطب.

ابن منظور: نفسه، جـ٦، ص: ٧٥ - ٧٦.

١٣٩- أرجان : مدينة فارسية كبيرة، كثيرة الخير. بها نخيل كثيرة وزيتون كما ذكر ياقوت: نفسه جـ١، ص: ١٤٢ - ١٤٣.

١٤٠- حلوان: أكثر من موضع جغرافي، فهناك حلوان العراق، وهناك حلوان مصر، وهناك حلوان البليدة التي تقع في آخر حدود خراسان ممَّا يلي أصبهان، والمقصود هنا: حلوان المشهورة بكثرة تينها، وهي حلوان العراق.

ياقوت : نفسه، جـ٢، ص: ٢٩ وما بعدها.

١٤١- العُنَّاب : من الثَّمر معروف. الواحدة عُنَّابة، وربما سمي تمر الأراك عُنَّابا.

ابن منظور : نفسه، جـ١، ص: ٦٣٠.

١٤٢- بُست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة (في بلاد الأفغان حاليا)، وقد قال ياقوت: نفسه، جـ١، ص: ٤١٤: وأظنها من أعمال كابل.

١٤٣- قال ياقوت عنها : نفسه، جـ٤، ص: ٤٩، هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ.

١٤٤- المُلَبَّن : ضرب من الحلوى لين المضغة، وقد يحشى بالجوز.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٨٢٠.

١٤٥- تُبَّت - بالضم - قال عنها ياقوت: نفسه، جـ٢، ص: ١٠ : بلد بأرض الترك، وهي متاخمة لملكة الصين ومتاخمة من إحدى جهاتها لأرض الهند (هي بلاد التبت الحالية)، وقد فصل ياقوت الحديث عن مِسْكها وقيمته وكيفية استخراجه.

١٤٦- الشِّحْرُ، قال ياقوت: نفسه، جـ٢، ص٣٢٧: الشِّحْرُ: الشط، وهو صقع على ساحل بحر الهند (البحر العربي أو بحر العرب) من ناحية اليمن، وقال الأصمعي: هو بين عدن وعمان، وإليه ينسب العنبر الشحري.

١٤٧- قال عنها النويري: المصدر السابق، جـ١١، ص: ٢٩٢، هي جزيرة محيطها سبع مئة فرسخ، والكافور المنسوب إليها أفضل ممَّا عداه. وأورد ناشرو موسوعة نهاية الأرب في حاشية (٣) من نفس الجزء والصفحة أعلاه، عدة أقوال عن قنصور، ومنها أنها مدينة في جنوبي جزيرة جاوة نقلاً عن أبي الفداء في تقويم البلدان، أو هي جزيرة سرنديب كما ذكر المسعودي في مروج الذهب.

١٤٨- الأُتْرُجُ : شجر يعلو، ناعم الأغصان والورق والثمر، وثمره كالليمون الكبار، وهو ذهبي اللون، ذكي الرائحة، حامض الماء.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ١، ص: ١٤.

١٤٩- النَّارنْجُ : شجرة مثمرة من الفصيلة البرتقالية دائمة الخضرة، تسمو إلى نحو عشرة أمتار، أوراقها جلدية خضر لامعة، لها رائحة عطرية وأزهارها بيض عبقة تظهر في الربيع... وتستعمل أزهارها في صنع ماء الزهر.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٩٢٠.

١٥٠- النرجس : نبت من الرياحين، وهو من الفصيلة النرجسية، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها وطيب رائحته، وزهرته تشبَّه بها الأعين. واحدته : نرجسه.

إبراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٩٢٠.

١٥١- النَّيْلُوفَر : والنَّيْنُوفَر : جنس نباتات مائية من الفصيلة النيلوفرية، وفيه أنواع تنبت في الأنهار والمناقع، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها.

إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، جـ٢، ص: ٩٧٦.

١٥٢- قال ياقوت عنها : نفسه، جـ٣، ٢٩٧، السيروان: موضع بفارس، والسيروان موضع بالريّ.

١٥٣- قال ياقوت : نفسه. جـ١، ص: ١٨٠، جور : مدينة بفارس بينها وبين شيراز عشرون فرسخًا، وإليها ينسب الورد الجورى، وهو أجود أصناف الورد، وهو الأحمر الصافي.

١٥٤- المنثور : نبات ذو رائحة ذكية، وهو كثير في مصر، وواحدته : منثورة.

١٥٥- حققَّها إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي فقالا: الساهِسْفَرمَ: ملك الرياحين، وهو دقيق الورق جدًا، يكاد يكون كورق السذاب، عطر الرائحةَ.

انظر الثعالبي: لطائف المعارف، ص٢٣٩. السذاب كما ورد في المعجم الوسيط، جـ١، ص: ٤٢٦، هو جنس نباتات طيبة من الفصيلة السذابية.

★ ★ ★

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):

١ - الكامل في التاريخ، عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليها نخبة من العلماء، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١٠ أجزاء.

أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م):

٢ - مُسند الإمام أحمد بن حنبل، منشورات المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ٦ مجلدات.

الأنباري (محمد بن القاسم) (ت ٣٢٧هـ/٩٤٨م):

٣ - الأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م):

٤ - العبودية (مسئلة من الفتاوي الكبرى)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨١م/١٤٠١هـ.

الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م):

٥ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ٤ أجزاء.

٦ - لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي، منشورات دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م.

الحميري (محمد بن عبدالمنعم) (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م):

٧ - الروض المعطار في خير الأقطار، تحقيق إحسان عباس، منشورات مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٥م.

ابن حوقل (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٨ - صورة الأرض، منشورات دار الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.

ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م):

٩ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، منشورات دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م/١٣٩٧هـ، ٨ مجلدات.

الطبري (٣١٠هـ/٩٣٢م):

١٠- تاريخ الأمم والملوك، منشورات القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت (دون سنة للطبع)، ١٣ جزءاً.

الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ/١٤١٤هـ):

١١- القاموس المحيط، منشورات المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، (دون سنة للطبع)، ٤ أجزاء.

القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

١٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه يوسف علي طويل، وقد ضُبطت هذه الطبعة وقُوبلت على طبعة دار الكتب المصرية، منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ١٤ جزءاً.

المسعودي (ت ٣٤٦/٩٥٧م):

١٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، منشورات مطبعة السعادة بمصر، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، جزآن.

ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م):

١٤- تجارب الأمم، منشورات شركة التمدن الصناعية، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ٦ مجلدات.

ابن منظور (ت ٧١١هـ/١٣١١م):

١٥- لسان العرب، منشورات دار صادر، بيروت (دون سنة للطبع)، ١٥ مجلداً.

النويري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م):

١٦- نهاية الأرب في فنون الأدب، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي -المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر -سلسلة من تراثنا، القاهرة، ٣٠ جزءاً.

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :

١٧- معجم الأدباء، منشورات مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٣، ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠م، ٢٠ جزءاً.

١٨- معجم البلدان، منشورات دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م، ٥ أجزاء.

ثانيًا : المراجع العربية والمعربة :

إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد علي النجار:

١ - المعجم الوسيط، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، المطبعة العلمية، طهران، جزآن.

أحمد أمين :

٢ - ظهر الإسلام، منشورات دار الكتاب العربي، بيروت، ٥ طبعات، ط٥، جزآن.

أحمد شلبي :

٣ - موسوعة مقارنة الأديان، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٩ طبعات، ط٩، ١٩٩٠م، ٤ أجزاء.

أحمد فؤاد الأهواني :

٤ - التربية في الإسلام، دراسات في التربية، منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

إغناطيوس كراتشوفسكي :

٥ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله عن الرسية صلاح الدين عثمان، منشورات دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

بارتولد (V.V. Bartold) :

٦ - مقالة عن بلاد بلغار، المجلد الرابع.

٧ – مقالة عن شعب التغزغز، المجلد الخامس.

دائرة المعارف الإسلامية – أصدرها مجموعة من المستشرقين، تُرجمت إلى اللغة العربية بمعرفة مجموعة من الباحثين العرب، منشورات دار الفكر، القاهرة، (دون سنة للطبع)، ١٥ مجلدًا.

بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف:

٨ – الرسالة الثانية لأبي دُلف رحالة القرن العاشر (الميلادي) نشر وتعليق محمد منير مرسي، منشورات عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

حسن إبراهيم حسن:

٩ – تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤م، ٤ مجلدات.

حمد الجاسر:

١٠ – بلاد ينبع – لمحات تاريخية وجغرافية وانطباعات خاصة – منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، (دون سنة للطبع).

خير الدين الزركلي:

١١ – الأعلام، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، ٨ مجدات.

زكي محمد حسن:

١٢ – الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، منشورات دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٥م.

السيد الباز العريني:

١٣ – المغول، منشورات دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

عبدالرحمن حميدة:

١٤ – أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، منشورات دار الفكر، دمشق، ط١١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

عمر رضا كحالة:

١٥ – العلوم البحتة في العصور الإسلامية، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

عمر فروخ:

١٦ – تاريخ العلوم عند العرب، منشورات دار العلم للملايين، بيروت ط٥، ١٩٨٤م.

عيسى يوسف ألب تاكين:

١٧ – قضية تركستان الشرقية، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرمة، طبعة عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

كارل بروكلمان :

١٨- تاريخ الأدب العربي، تولَّت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية العمل على ترجمته من لغته الألمانية الأصلية إلى اللغة العربية بعناية عبدالحليم النجار ورمضان عبدالتواب، نشرته دار المعارف المصرية، القاهرة، (دون سنة للطبع)، ٦ أجزاء.

محمد السيد غلاَّب، وحسن عبدالقادر صالح، ومحمود شاكر:

١٩- البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، بمناسبة المؤتمر الجغرافي الأول سنة ١٣٩٩هـ.

محمد شفيق غربال وآخرون :

٢٠- الموسوعة العربية الميسَّرة، منشورات دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م.

محمد عبدالمنعم خفاجي :

٢١- أبو دُلف الخزرجي -عبقري من ينبع، منشورات دار الرفاعي، سلسلة المكتبة الصغيرة، ط٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

محمود مصطفى الدمياطي :

٢٢- معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي: أحمد مرتضى بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق أبو الفيض الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، منشورات المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

هيوار (CI- Huart)

٢٣- مقالة عن إقليم الجبال، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس.

ول ديورانت :

٢٤- قصة الحضارة، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة (نسخة مصورة)، ترجمة عدد من الباحثين العرب، ١٩٧١م، ٣٦ جزءاً

* * *